مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

دراسة في الشكل العام لسورة القمر ومقارنتها بسورتي (النجم والطور)

م.م. مروان لطيف حسن
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة ذي قار
Marwan.lateef.isl@utq.edu.iq

الملخص:

هذه الدراسة محاولة لمعاينة المضامين العامة لسورة القمر، ومقارنة هذه المضامين بالجو العام والتفصيلي احياناً لسورتي الطور والنجم، حيث انتهجت هذه الدراسة المنهج التحليلي والوصفي المقارن، مع توظيف المنهج الترابطي للعلامة السيد الطباطبائي، عبر الكشف عن المحاور الرئيسية التي تدور حولها الروح العامة لسورة القمر، ومقارنة هذه المحاور بالأهداف العامة التي تتطلع لها سورتي الطور والنجم.

Abstract:

This study is an attempt to examine the general contents of Surat Al-Qamar and compare these contents with the general and sometimes detailed atmosphere of Surat Al-Tur and Al-Najm. This study adopted the comparative descriptive analytical approach while employing the associative approach of the scholar Sayyed Muhammad Hussein Tabatabai by revealing the main axes around which the general spirit of Surat Al-Qamar revolves and comparing these axes. With the general goals that Surat Al-Najm and Al-Tur aspire to

مقدمة:

عرف القرآن الكريم نفسه بأنه كتاب الهدى الجامع لكل أسباب الهداية والسعادة الإنسانية بمختلف مراتبها، وهذه الجامعية التي تميز بها القرآن الكريم قد فصلها وبسطها على مائة وأربعة عشرة سورة من سورهِ المباركات، وكل من هذا التفصيل وتلك الجامعية تعود الى حقيقة واحدة عينية، ولما كان تلقي الحقيقة على ماهي مما يتعذر ادراكه على غير النبي المصطفى (صل الله عليه واله وسلم)، تنزلت الحقيقة من مقامها الاسمى عبر الاطوار العقلية طورا بعد طور وعالما بعد آخر حتى وصلت الى عالم مثار الكثرة فلبست لباس اللفظ فتكثرت وتوزعت على أجزاء الكتاب المبين، حيث قال الله عز وجل: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (الرعد /١٧). فأصبح طيبها يشم عند كل جزء من تلك الأجزاء، وعلى هذا فإن الولوج في أي سورة من سور القرآن الكريم يجر الذهن الى وجود نوع من الترابط بين تلك السورة والسور الأخرى، لذا وقع الاختيار على سورة القمر من أجل ملاحظة الجو العام للسورة ، ومقارنتها مضامينها العامة بسورتي (الطور والنجم) واختبار إمكانية انفتاح السور على بعضها البعض في الأهداف والمضامين.

المضامين الكلية لسورة القمر

سورة القمر من السور المكية باتفاق الجميع تقريباً، وشذ قوم في اعتبار بعض آياتها مدنية، وهي من السور التي ضجت آياتها المباركات بالتخويف والانذار والوعيد، وكل ذلك مصور بشكل يحسب فيه القارئ نفسه وسط المشاهد المتنوعة التي تعرض لها الآيات الكريمات، ما ان ينقضي مشهد يجد القارئ نفسه في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

مشهد آخر اشد هولاً ورعباً، يثير نقع العقول، ويصيب النفس بالذهول، وما بين تلك الحركة العجيبة التي احدثتها الآيات فإذا بصوت ينادي بالبشرى للمتقين من قول الله عز وجل:(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (القمر: ٤٥-٥٥) ثم يختفي.

ومن هنا يقول العلامة السيد الطباطبائي في وصف السورة: (سورة ممحضة في الإنذار والتخويف إلا آيتين من آخرها تبشران المتقين بالجنة والحضور عند ربهم). (الطباطبائي، محمد حسين، تفسيرالميزان، ج١٩،ص٥٥).

وقال صاحب الظلال: (هذه السورة من مطلعها إلى ختامها حملة رعيبه مفزعة عنيفة على قلوب المكذبين بالنذر، بقدر ما هي طمأنينة عميقة وثيقة للقلوب المؤمنة المصدقة بالله عز وجل. وهي مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغطه ويهزه ويقول له : (فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ؟) ... ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟)(القمر/١٧).

فإذا انتهت الحلقة وبدأوا يستردون أنفاسهم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشد هولا ورعبا ... وهكذا حتى تنتهي الحلقات السبعة في هذا الجو المفزع الخانق، فيطل المشهد الأخير في السورة، وإذا هو جو آخر ، ذو ظلال أخرى، وإذا هو الأمن والطمأنينة والسكينة، إنه مشهد المتقين : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ).(سيد قطب، أبراهيم حسين الشاذلي، تفسير الظلال، ج٦: ص١٨١).

وقد وصفها صاحب تفسير الأمثل بقوله: (وسورة القمر تتميّز آياتها بالقصر والقوّة والحركية).(الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج١٧،ص٢٨٨)، ثم يبين بعد ذلك قائلا: (النقطة الجديرة بالذكر أن (سورة القمر) بدأت بإنذار وتخويف المشركين بقرب وقوع يوم القيامة، وانتهت بهدوء يطمئن المؤمنين الحقيقيين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهذا هو الطريق المرسوم للتربية، حيث يبدأ بالتحذير والتخويف وينتهي بطمأنة النفوس المضطربة وتقويم الأهواء المنحرفة ورفع الخوف والاضطراب وعندئذ تغمر الأرواح بالسكينة والهدوء بالقرب من الجوار الإلهي الأبدي).(الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل، ج١٧،ص٣٥٥).

والمحور الذي تدور حوله هذه السورة الكريمة هو تقرير أصول الدين العامة، وهي: الوحدانية، وبيان الدلائل على صحة نبوة النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) والحديث الموجز عن يوم القيامة، والكلام عن الوعد والوعيد، وبدء الخلق واعادته، والتذكير بالنّهاية القاسية والمفزعة لبعض الأقوام الغابرة التي كذَّبت برسل الله (عليهم السلام)، وتكبرت على دعوتهم، فهذه عبرةٌ لمن اراد أن يعتبر، ومشهدٌ مفجعٌ مفزعٌ يعرض ردًا على التعالي والتكبر من الجبابرة المعاندين). (الحاج احمد :ص١٦٨).

هذه هي الرؤية العامة التي ذكرها المفسرون حول سورة القمر، اما العناوين الرئيسية التي تناولتها السورة فيمكن تقسيمها بالنحو التالي:

١- من الآية الأولى الى الآية الثامنة تتحدث السورة عن معجزة انشقاق القمر وموقف المشركين منها، على اختلاف المفسرين بين الوقوع الفعلي والوقوع المستقبلي، ويرى العلامة السيد الطباطبائي ان الوقوع الفعل متحقق بدلالة سياقة الآية اللاحقة، اذ قال: (قالوا: معنى قوله: "انشق القمر" سينشق القمر عند قيام الساعة و إنما عبر بلفظ الماضي لتحقق الوقوع. و هو مزيف مدفوع بدلالة الآية التالية "و إن يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر" فإن سياقها أوضح شاهد على أن قوله "آية" مطلق شامل لانشقاق القمر فعند وقوعه إعراضهم و قولهم: سحر مستمر و من المعلوم أن يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق و يلجئون فيه إلى

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

المعرفة، و لا معنى حينئذ لقولهم في آية ظاهرة: أنها سحر مستمر فليس إلا أنها آية قد وقعت للدلالة على الحق و الصدق و تأتي لهم أن يرموها عنادا بأنها سحر). (الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٩،ص٥٥).

٢- من الآية التاسعة الى الآية السبع عشرة تتلخص في بيان قصة نبي الله نوح (عليه السلام).

٣- من الآية الثامنة عشرة الى الآية الثانية والعشرين بيان لقصة عاد قوم هود.

٤- من الآية الثالثة والعشرين الى الآية الثانية والثلاثين بيان لقصة ثمود قوم صالح (عليه السلام).

٥- من الآية الثالثة والثلاثين الى الآية الأربعين تعريف بقصة لوط (عليه السلام).

٦- من الآية الواحد والأربعين الى الآية الثانية والأربعين ذكر لقصة آل فرعون.

٧- من الآية الثالثة والأربعين الى الآية الثالثة والخمسين جدال وبيان لحال المجرمين والمكذبين يوم القيامة.

٨- من الآية الرابعة والخمسين الى الآية الخامسة والخمسين بيان لحال المتقين.

جانب من الأساليب البلاغية في سورة القمر

بعد عملية العرض السريعة والاجمالية لمضامين سورة القمر التي (تزخر بمحاسن التعبير ولطائف البلاغة بحيث لا نقضي منها العجب، والجدير بالذكر أن هذه البلاغة وتلك المزايا يرجع معظمها إلى حسن النظام، فمن كان يريد أن يدرك هذه المحاسن أو يتذوق تلك البلاغة فلا عليه إلا أن يتدبر السورة متمسكاً بنظام آياتها ورباط معانيها، فإن ذلك سيمده بكثير مما لم يخطر بباله ولم يتشمم رائحته عند غيره ... فكلما تدبرنا السورة وأنعمنا النظر في نظامها رأينا من شأنها عجباً، حيث وجدناها مثالاً رائعاً لبراعة الاستهلال، وندرة الاستدلال وروعة الانتقال وسرعة الالتفات، وحسن التلميح وجمال المقطع ودقة التصوير وشدة التأثير وكمال الإبلاغ وعجيب الاستدراج وما إلى ذلك من دلائل الإعجاز). (جعفر سبحاني، ص١٤٥)، لذا سيقوم الباحث بجولة بين هذه الصور المتنوعة والمشاهد المكثفة التي تعرض لها هذه السورة.

لكن من المعلوم ان سورة القمر تتألف من خمسة وخمسين اية محملة بالأسرار البلاغي ولا يمكن الوقوف عليها جميعا لذا سنقف على آيتين فقط من هذه السورة المباركة، وهي الآية السابعة والحادية عشر.

الآية السابعة: قوله تعالى: ((خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ))

هذه الآية توصيف لحال المكذبين يوم القيامة، وفيها تشبيه لحالهم وهم يخرجون من قبورهم بالجراد المنتشر. قال ابن عجيبة :(خُشَّعاً أبصارُهم يخرجون) فـ " خُشَّعاً ": حال من فاعل " يخرجون "، أي: (يَخرجون من الأجداث) أذلة أبصارهم من شدة الهول لأن ذلة الذليل وعزة العزيز يظهرن في أعينهما، ...(كأنهم جراد منتشِرٌ) في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار)،(أحمد ابن عجيبة، البحر المديد، ج١٣، ص٥٢٩).

وأعطى الفخر الرازي معنى آخر للخشوع في معرض تفسيره للآية الكريمة، اذ يقول: (خشوع الأبصار سكونها على كل حال لا تنفلت يمنة ولا يسرة كما في قوله تعالى: (لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ)(إبراهيم: ٤٣). (الفخر الرازي، محمد بن عمر، ج٢٩، ص٢٩٣).

وللطاهر ابن عاشور كلمة في وجه التشبيه بين المكذبين والجراد المنتشر يقول فيها: (وخامسها تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك).(ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير:ج٢٧، ص١٧٧).

ثم عند ملاحظة حال الخشوع التي يشترك فيها المؤمن والمكذب نجد ان هناك اختلاف جوهري بين الخشوعين، فالخشوع الذي يكون صفة المؤمن يقع في دار الدنيا وداخل الفترة المحدودة للاختبار الإلهي، فيكون خشوع المؤمن دليل ايمان وصدق وخشية من الله ، اما الكافر المكذب فإن خشوعه لا يحصل داخل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

دائرة الامتحان الإلهي وانما بعد فترة الامتحان، أي تحصل لهم تلك الحالة (يوم يدع الداع الى شيء نكر) إضافة الى ان خشوع المؤمن في الدنيا خشوع رغبة وشوق للقاء الله عز وجل، اما الكافر فإن خشوعه يوم الدعوة خشوع ذلة وخوف بسبب تكذيبه لآيات الله.(محمد الصيفي، ص١٩).

ويشير سبحاني الى روعة الالتفات في هذه الآية قائلا: (وهنا يلتفت الخطاب إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : (فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر، خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) (القمر: ٦ – ٨) .

ولعمري إنه التفات عجيب ومليح؛ فإن الكلام ما زال متصلاً بالكافرين ومتوجهاً إليهم؛ فكأنه من قبيل (إياكِ أعني واسمعي يا جارة) . ولا يخفى ما لهذا الالتفات من وقع وتأثير في النفوس إن كان قد بقي فيها رمق من حياة!). (جعفر سبحاني، ص ١٤٥).

ومن روائع ما كتبه الدكتور محمود البستاني في بيان وجه التشبيه بالجراد، ما يجعل الباحث يحرص على نقله بفصه ونصه، اذ يقول: (أما التشبيه او الصورة نفسها (كأنهم جراد منتشر) فتنطوي على اسرار فنية بالغة الدهشة لو أتيح تأملها بدقة، فالجراد يتجمع حتى اذا طلعت الشمس يبدأ بالانتشار(والخروج من الاجداث بعد اشراق النفخة عليها تأخذ نفس السمة)... وانتشار الجراد يتسم بالكثرة (والانبعاث يتسم بالكثرة ايضاً)، وانتشار الجراد يتسم بكونه عشوائيا دون تنظيم (والانبعاث يأخذ الطابع ذاته)، وانتشار يتسم بكونه تراكماً (والانبعاث يأخذ نفس الصفة) وانتشار الجراد يتم بنحو مقرون بالانبهار (والخروج من الاجداث يأخذ نفس طابع الانبهار)... اذن، الأطراف التي اعتمدتها صورة (الجراد المنتشر) تتعدد حتى تصل الى ستة اطراف تتماثل مع اطراف (الخروج من الاجداث) وهو قمة ما يمكن تصويره في تركيب الظاهرة الفنية (ونعني بها التشبيه).(محمود البستاني، التفسير البنائي، ج٤،ص٤٠٧).

الآية الحادية عشر: قوله تعالى: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)

هذه الآية متعلقة بعذاب الطوفان لقوم نوح وقد ذكرت موارد كثيرة في القرآن الكريم تتعلق بعذاب قوم نوح منها ما جاء في سورة الأعراف (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (الأعراف/ ٦٤) وكذلك ما جاء في سورة يونس (عليه السلام) (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ(يونس/ ٧٣). ألا ان الملاحظ يجد جميع او اغلب الآيات المتعلقة بعذاب قوم نوح تعرض القضية عرضا مخففاً متمثلا بإغراقهم ونجاة نبي الله نوح (عليه السلام) ومن كان معه في السفينة، اما في سورة القمر فالعرض مختلف والتصوير رائع ومخوف، فالسماء تنفتح بماء منهمر فيها حركة نازلة ومستمرة، والأرض تتفجر عيونا في حركة صاعدة فيه مشهد ينطوي على كل معاني الاثارة والجمال والرعب في آنٍ معاً.(محمود البستاني، التفسير البنائي، ج٤، ص٤٠٩).

وللسيد قطب وجهة أخرى في بيان هذا التصوير الإلهي اذ يقول: (عند ما لجأ نوح إلى ربه يعلن أنه «مغلوب» ويدعو ربه أن «ينتصر» هو وقد غلب رسوله .. عندئذ أطلق الله القوى الكونية الهائلة لتكون في خدمة عبده المغلوب :(فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) ..وبينما كانت تلك القوى الهائلة تزاول عملها على هذا المستوي الكوني الرائع المرهوب .. كان الله عز وجل بذاته العلية مع عبده المغلوب).(سيد قطب، أبراهيم حسين، ج١٤، ص٦١).

ثم ان هذا الماء النازل (جاءت الفاصلة القرآنية (منهمر) متمكنة مؤكدة على ان الماء دائم الاندفاع لا ينقطع، فقد ظل منهمرا حتى اغرق كل كافر عنيد. وجاءت الباء في (بماء) للاستعانة وجعل الماء كالألة لفتح

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الأبواب ... وتنكير (ماء) ووصفه بـ (منهمر) للدلالة على عظمه وكثرته وغزارته مع شدة اندفاعه بحيث لا يبقي شيئا الا ويغرقه). (محمود الصيفي، التفسير البنائي، ص ص٢٦).

ولعل مشاعر سبحاني امتزجت اكثر من قطب والصيفي مع النص القرآني المبارك اذ يصور لنا ما تقدحه الآية المباركة في ذهنه فيقول: (ولا ندري كيف نعبر عما تفيض به كلمة عبدنا من حفاوة ومودة تأخذ القلوب وتملك الشعور، وخاصة في هذا الجو الخانق المكروب قالوا مجنون وازدجر .ثم نلاحظ كذلك أنه ما تتحرك شفتا نوح (عليه السلام) بإظهار ضعفه وعجزه أمام ربه، حتى يسرع إليه ربه بعطفه ورعايته، ويحرك له الكون كله للانتصار من أعدائه (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر. ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) (القمر: ١٠ – ١٢)، ولننتبه لضمير الجلالة هنا: ففتحنا وفجرنا فإن التصريح بضمير الجلالة هنا يشعر أنه – الله عز وجل - قد تولى أمر نوح (عليه السلام) بنفسه ولم يسنده إلى غيره اهتماماً بشأن عبده !).(جعفر السبحاني، ص ١٤٥).

جانب من دلالة الأصوات في سورة القمر

ان الكلمة المنطوقة تشتمل على مجموعة من الأصوات التي إذا ما انضمت الى بعضها كونت الكلمة، وهذه المقاطع الصوتية هي التي نعبر عنها بالحروف، وهذه الحروف تختلف في صفاتها من ناحية الجهر والاخفات والشدة والرخاوة والاصمات والتفشي وما الى ذلك من الصفات التي تدرس في علم التجويد واحكام التلاوة، الا ان هناك علاقة بين صوت الحرف والموسيقى الخاصة به من جهة وبين المعنى الذي تريد أن تؤديه الكلمة من جهة أخرى، وهذا ما يمكن ملاحظته بشكل جلي في الآيات والكلمات والحروف المستخدمة في سورة القمر.

من هنا فـ(انّ دلالة الصوت و قيمته الإيحائية في المادة اللغوية من القضايا التي شغلت اللغويين المؤيدين لفكرة المناسبة بين الصوت و المعني و قد صرّح السيوطي في كتابه المزهر في اللغة :بأنّ لفيفاً من علماء العربية و أهلها كادوا يطبقون جميعاً علي إثبات المناسبة بين اللفظ والمعني أو الصوت و المعني»(متقي زاده، خضري، ص٩٧).

لذا فللصوت أثر كبير في توليد معاني خاصة يريد لها المتكلم ان تبرز وتطغى من بين الدلالات المتعددة للمفردة، وهذه الدلالات التي تصنعها الأصوات والمعاني التي ترتسم في ذهن السامع عن طريق الإيقاع الصوتي جاءت بشكل صارخ في سورة القمر باعتبارها من السور ذات الطابع الشديد ، لذا (نجد ايماءات صوتية وايحاءات فنية على مستوى اللفظة للمفرد تتناغم مع الدلالات المعجمية للكلمات كما في (اقتربت، الساعة، انشق، سحر، مستمر) ايحاء بشيء يتقلقل ويقترب شيئا فشيئا، ونلمح الاقتراب هذا في الانتقال من اقصى الحلق حيث مخرج القاف الى مقدمة الفم حيث مخرج الباء الشفوية، ومخرج التاء الاسنانية، وكل ذلك متناسب مع الإيحاء باقتراب الساعة، فهي قريبة جدا كقرب الانتقال بين هذيين المخرجين، لذلك صوّرت سورة القمر هذا الاقتراب بأنه كلمح البصر او هو اقرب). (الحسيني، ص١٢٥)، وكذلك في لفظة (سُعُر) الواردة في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ). (القمر/٤٧).

اذ تتحسس من خلال هذه الكلمة نوع عذابٍ يختلف عن العذاب الذي تُصوّره كلمة (سقر) (لعمق صوت العين الواقع في أقصى الحلق قبل القاف، فضلا عن حركة الضمّة الثقيلة المتكرّرة على السين والعين ممّا يُصوِّر لنا المُعذّب وقد ضُمّ داخل ما يُعذب فيه فضلا عِمّا للسعيَّر من دلالات مميزة؛ لانفرادها بمعنى الجنون الذي يرسم لنا حال الكفار كحال الذي جَن، ولم يعدْ يحتمل شدّة حَر نار جهنّم معنويّا وماديّا). (عزت، جرجيس، ص١٨١).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

هذا بالإضافة الى ان أداء المعنى لا يتوقف على الحرف الكامل فحسب بل ان للمصوّتات حظاً كبيراً في بيان زاوية من زوايا المعنى لذا فلذا فإننا (لا نجد مفردة الا حروفها مقرونة بمصوتات قصيرة، ولكثرة هذه المصوتات القصيرة (الحركات القصار) دلالاتها المعنوية والايحائية تتناسب وعرض مشاهد سورة القمر واحداثها الممزوجة بالحركة كانشقاق القمر والانتقال من حال الى حال... ومن توازي المصوتات القصيرة يلحظ توالي مصوّت الفتحة تواليا كثيرا في سورة القمر... وتجدر الإشارة الى ان توازي الفتحة وتواليها يدل على توالي العذاب وسرعة غليان تلك النيران وتقلبها بأهلها، فهي تفور بهم، ومن ثم يأتي مصوّت الفتحة في سورة القمر محاكيا تملم المحاكاة لذلك الفوران والغليان، ويدل على مدى تلهف النار على التهام أهلها وضمهم اليها). (النّجار:٥٨).

اما فيما يخص الفاصلة فقد(جاءت منسجمة في موسيقاها مع طبيعة الحدث والموقف، فعلى المستوى الفونيمي جاء تكرار (الراء) في السورة بكاملها، وعلى المستوى المقطعي جاءت التوازنات متناسقة مع الحدث والحبكة الصوتية). (الدليمي: ص٣٤٣). ويؤكد (تقي زاده،كاوه) أيضا على ما يعطيه تكرر الفاصلة من معاني اذ يقول:(نشاهد حرف الراء و هي تكرر في كل فاصلة من تلك الآيات تكراراً انفجارياً و هذا التكرار في هذا الصوت يدلّ علي شدة الجهر بالرأي أمام الغير حيث يجعل هذا الجهر و التكرار المخاطب أن يشعر بقسوة الكلمة التي تعبر عن شدة الإنذار.). (متقي زاده، خضري، ص١٠٢-١٠٣).

من هنا وصف الدكتور محمد حسين علي الصغير هذا النوع من التوزيع الصوتي في آيات القرآن الكريم وعلى الخصوص ما ذكره في خصوص الأصوات ذات الصفير والازيز عند تعرضه لمادة صرصر التي ذكرتها الآية التاسعة عشر من سورة القمر اذ قال: (هذه المادة في هذه الصيغ الثلاث: مرفوعة، مجرورة، منصوبة، وردت في القرآن وأنت تلمس فيها اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعّفة، والتكرار للمادة في «صرصر»، قد أضفى صيغة الشدة، وجسّد صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجده، أو النجاة فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتبلها). (الصغير، ص١٧٨).

من هنا تجد ان النص القرآني فرض وجوده على الجميع، على اللغوي في لغته ، وعلى الفيلسوف في فلسفته، وعلى الاديب في أدبه ، اذ للجملة فيه الف حساب، والكلمة تطير لها الالباب، والحرف في لينه ثواب وفي شدّته عقاب، والحركة حركة وإطراب ، هذه هي هندسة ذاك الكتاب.

مناسبة السورة لما قبلها من السور (النجم والطور)

ان ملاحظة المفسرين للترابط بين سور القرآن الكريم، قائم على نظرية التوقيف في الترتيب القرآني، لذا تجد المفسرين قد اهتموا بعلل ختم الله تعالى السورة بمعنى وافتتاحه السورة اللاحقة لها بمعنى ذا ارتباط بالسورة السابقة، محاولين بذلك التأكيد على نوع الترابط والنظم الذي يجمع سور وآيات القرآن الكريم، لذا يجد القارئ لكتب التفسير ان المفسر يعطي اهتماما بالغا للربط بين ما تنتهي به السورة وبين ما يفتتح به السورة اللاحقة. ولتأكيد ذلك يمكن الاستشهاد ببعض النصوص لجملة من المفسرين فيما يخص سورة القمر وما يتقدمها:

قال البقاعي: (لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التي ينكرونها بعد أن فتحها بالأقسام البلس (؟) في النجم الذي هو أعم من القمر وغيره بتسييره طلوعاً وأفولاً وصعوداً وهبوطاً ، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلاً وسمعاً في التأثير في أعظم آيات الله وغير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ، ويستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد ، فقال دالا على عظيم اقتداره عليها بتأنيث فعلها : (اقتربت الساعة).(البقاعي:ج٧، ص٣٣٩).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ومما ذهب اليه الفخر الرازي أيضا: (أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله: (أزفَتِ ٱلآزفَةُ) (النجم: ٥٧) فكأنه أعاد ذلك مع الدليل، وقال قلت: (أزفَتِ ٱلآزفَةُ) وهو حق، إذ القمر انشق). (الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٩،ص٢٨).

وقال الألوسي: (مناسبة أول سورة القمر لآخر ما قبلها ظاهرة فقد قال عز وجل في أواخر سورة النجم : (أزفَتْ الْآزفَةُ (٥٧)، وقال في أول سورة القمر : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) .(الألوسي، ص ٧٣/٢٧).

وقال صاحب السراج: (اقتربت الساعة) دنت القيامة وفي أول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها، وهو قوله تعالى: (أزفت الأزفة) (النجم: ٥٧) فكأنه أعاد ذلك مستدلاً عليه بقوله تعالى: (أزفت الأزفة) فهو حق إذ القمر انشق. وقوله تعالى: (وانشق القمر) ماض على حقيقته وهو قول عامّة المسلمين إلا من لا يلتفت إلى قوله. (الخطيب، محمد الشربيني، تفسير السراج المنير: ٣١٠/١١).

وذكر صاحب الأمثل: (وجدير بالذكر أنّ سورة النجم التي أنهت آياتها المباركة بالحديث عن يوم القيامة (أزفت الآزفة) تستقبل آيات سورة القمر بهذا المعنى أيضاً، ممّا يؤكّد قرب وقوع اليوم الموعود رغم أنّه عندما يقاس بالمقياس الدنيوي فقد يستغرق آلاف السنين ويتوضّح هذا المفهوم، حينما نتصوّر مجموع عمر عالمنا هذا من جهة، ومن جهة أُخرى عندما نقارن جميع عمر الدنيا في مقابل عمر الآخرة فأنها لا تكون سوى لحظة واحدة). (الشيرازي، ناصر مكارم، ج١٧،ص٢٩٠).

وقال الخطيب: (في ختام سورة «ق»[1] جاء قوله تعالى : (أزفَتِ الْآزفَةُ)، منذرا بقرب يوم القيامة ، ثم في بدء سورة القمر قوله : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) ـ مخبرا عن اقتراب الساعة ، منبئا عن الأحداث التي تقع في هذا اليوم العظيم). (الخطيب، محمد الشربيني، ج١٤، ص٦٢٦).

لكن هذه التأويلات التي تعتمد على الربط بين السورة وسابقتها واللاحقة لها تذهب ادراجها في حال ضرب الأساس الذي تعتمد عليه وهو(توقيفية الترتيب)، لذا فهناك جملة من المفسرين لا يعتمدون هذه الطريقة في الربط بين الآيات والسور، لأنهم يرون ان ترتيب القرآن الكريم لم يكن توقيفيا بل تدخلت فيه ايدي بشرية وهم الصحابة، فكيف يمكن لنا بناءا على عدم توقيفية الترتيب أن نربط بين الآيات بنحو يظهر الترابط فيما بينها؛ لأجل اثبات الاعجاز في النظم القرآني؟!

ذهب الى القول باجتهادية الترتيب أبو بكر الباقلاني حيث قال: (وترتيب السور ليس بواجب في التلاوة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التعليم فلذلك اختلفت المصاحف فلما كتب مصحف عثمان رتبوه على ما هو عليه الآن) (العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ج ٩ ص ٤٢، باب تأليف القرآن).

وممن ذهب الى هذا المعنى أيضا هو العلامة السيد الطباطبائي اذ قال: (وقد ذهب كثير منهم إلى إن ترتيب السور توقيفي وان النبي محمد (صلى الله عليه وآلة وسلم) هو الذي أمر بهذا الترتيب بإشارة من جبريل (عليه السلام) بأمر من الله سبحانه حتى أفرط بعضهم فادعى ثبوت ذلك بالتواتر وليت شعري أين هذا التواتر وقد تقدمت عمدة روايات الباب ولا اثر فيها من هذا المعنى..... وثالثا إن وقوع بعض الآيات القرآنية التي نزلت متفرقة موقعها الذي هي فيه الان لم يخل عن مداخلة من الصحابة بالاجتهاد كما هو ظاهر روايات الجمع الأول وقد تقدمت).(الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٢،ص١٢٧).

ومن هذا يتبين ان الربط بين سور القرآن لا يقتصر على النظم السطحي بل البنية العميقة للنص هي التي تحدد مدى الترابط بين وحدات النص داخل البنية الكلية عن طريق بيان جوانب الاشتراك في الأهداف والمقاصد، وعن طريق ضم الآية الى اختها ممن تشترك معها في المضمون والهدف.

من هنا ذهب العلامة السيد الطباطبائي الى نوع اخر من الترابط يجمع مضامين النص الكلية، لذا يقول: (و إذا كان الأمر كذلك فلا يقع بين أجزاء الحق اختلاف بل نهاية الائتلاف، يجر بعضه إلى بعض، و ينتج

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

بعضه البعض كما يشهد بعضه على بعض و يحكي بعضه البعض. و هذا من عجيب أمر القرآن فإن الآية من آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة و لا تعقم عن الإنتاج، كلما ضمت آية إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبكار الحقائق ثم الآية الثالثة تصدقها و تشهد بها، هذا شأنه و خاصته).(الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١،ص٧٣).

مقارنة في شكل ومضامين السور الثلاث (الطور، النجم، القمر)

(وفيها يتم بيان الترابط المقاصدي لدلالة الآيات والسور).

عند ملاحظة السور الثلاث (قمر، النجم، الطور) تظهر للذهن مساحتين تقترب فيها السور وتصل الى حد الاشتراك من جهة، وتتنوع وتصل الى حد الاغتراب والتعدد من جهة أخرى، ويمكن التعرف على هاتين المساحتين بالترتيب التالي:

١-الجانب الشكلي الصوري

ويتكون هذا الجانب من خمسة عناوين:

الفاصلة: وقد اختلف في تعريفها فقال الرماني: (الفواصل: حروف متشاكلة في المقطع توجب حسن افهام المعاني) (الرماني، ص٩٧) وقال الداني (ت٤٤٤هـ): "كلمة آخر الجملة" (الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٥٣) الا ان ما نقصده من الفاصلة هنا هو ما قاله الزجاج: (وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر - جلّ كتاب الله عز وجل- واحدتها فاصلة).(ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ٥٢٤/١١).

وفي خصوص فواصل السور الثلاث نجد ان سورة القمر الفاصلة فيها متحدة من اول آية الى آخر السورة من دون أي اختلاف، لذا تجد كل آية من آياتها تختم نفسها بحرف الـ(راء).

اما سورة النجم فإنها تلتزم فاصلة واحدة متصلة من الآية الأولى حتى الآية (٥٦)، فتغير فاصلتها في آيتين نحو التاء المربوطة ، ثم بعدها تغير من قافيتها نحو النون في ثلاث آيات بشكل متصل، وفي الآية الأخيرة تذهب نحو فاصلة منفردة في الآية (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا). (النجم/ ٦).

وفي سورة الطور فإنك تجد ان السورة تبتدأ بفاصلة متماثلة حتى الآية الرابعة ثم بعد ذلك تتنوع فواصلها حتى تصل خمسة فواصل مختلفة وهي (الراء، العين، الالف، النون، الميم).

يرى عبد القاهر الجرجاني أن الفاصلة ليس لها أي دخل في الجانب الاعجازي، لذا يقول:" إنما الفواصل في الاي كالقوافي في الشعر، وقد علِمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلا إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي، لم يُعْوزهم ذلك، ولم يتعذَّر عليهم". (الجرجاني: ص ٣٨٧).

القسم: تكرر القسم في سورة الطور خمس مرات من الآية الأولى حتى الآية السادسة، وفي سورة النجم جاء مرة واحدة ، اما سورة القمر فلم يرد فيها أي قسم ، ولعل تجرد هذه السورة عن القسم يعود الى أن حقيقة (القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ على طريقة بالله إنه لكذا). (الطوسي، محمد بن حسن، التبيان، ج٤، ص٤١٥). وهو في سورة القمر لم يكن في مقام التوكيد والعرض النظري، بل كان في مقام آخر وهو مقام العرض لمعجزة الشق - والتي هي تصوير لما وقع فعلا من اعجاز، وتوصيف لحالة الاعراض والتكذيب التي اظهرها المكذبون، وقوم بهذا الحال يشاهدون الآيات عياناً ثم يكذبونها ويعرضون، لا ينفع معهم تأكيدات لفظية كالقسم من باب أولى، اما في الطور والنجم فكان جو السورتين جو الشدة الممزوج بالأخذ والرد، ومثل هكذا جو يكون استخدام المؤكدات اللفظية امرا مجدي وغير معيب او مخل في السياق المعنائي للسورة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

التكرار: والمقصود به تكرار جملة كاملة وليس تكرار كلمة او حرف، لذا فان سورتي الطور والنجم ليس فيهما تكرار على المستوى الجملي، وان كان فيهما تكرار على المستوى الحرف والكلمات مثل (يوم، ام، المنتهى، الأولى ...)، اما في سورة القمر فقد ورد فيها تكرار جملي مثل:(فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) و(فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) و(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ). وللتكرار معاني بلاغية كثيرة كالتوكيد والتهويل والتعظيم والتذكير وغيرها وكلها تلائم أجواء سورة القمر أكثر من أجواء السورتين.

الاستفهام: في اللغة" : طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه". (البلخي، ص١٥). هذا هو الاستفهام على الحقيقة، لكن هناك ما يسمى بالاستفهام المجازي الذي لا يكون غرضه طلب معرفة شيء مجهول لدى المستفهم، بل له أغراض متعددة كـ(الانكار، التقرير، التذكير، التخويف والتهويل، التفخيم، التنبيه، التفكّر، التعجب، التوبيخ، العتاب ...). في حين يرى سعد الدين التفتزاني ان الاستفهام قد يخرج من معناه الأصلي وينتقل الى معنى خارج عن موضوع الاستفهام لذا يقول:" :« ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن و تحقيق كيفية هذا المجاز ،وبيان أنه من أي نوع من انواعه مما لم يحم أحد حوله". (التفتزاني، ص٤١٩).

في سورة القمر جاء الاستفهام بأدوات مختلفة مثل(هل، كيف، من، الهمزة)، وقد تكرر الاستفهام ثلاث عشرة مرة، وفي قوله تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) قولان فمنهم من حمل (ما) على انها حرف استفهام ، ومنهم من حملها على النفي، قال الطوسي:" يجوز في (ما) وجهان: احدهما - الجحد، ويكون التقدير: لا يغني التخويف. والثاني - ان تكون بمعنى (أي) وتقديره أي شيء يغني الإنذار". (الطوسي:ج٩، ص٤٤٤).

وفي سورة النجم فقد تكرر الاستفهام تسع مرات كلها بحرف الهمزة الا في قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكَ تَتَمَارَى). (النجم/ ٥٥).فجاء الاستفهام باسم الاستفهام التعجبي (أي)، اما في سورة الطور فقد ورد الاستفهام ست عشرة مرة ، أولها بالهمزة الخالصة ، والباقي بـ(أم) التي هي بمعنى الهمزة. (محمود يوسف، ص١٤٢).

قصر الآيات وعدد: فيما يخص طول الآيات وقصرها نجد ان السور الثلاث متناسبة نوعا ما من ناحية الطول والقصر، لأنها تحمل طابع الأسلوب المكي، اما فيما يخص عددها فمن الطريف في المسألة أنك تجد كل سورة تزيد على صاحبتها بـ(ست) آيات، فسورة الطور جاءت بـ(٤٩) آية ، وسورة النجم بـ (٦٢) آية ، اما سورة القمر فجاءت بواقع (٥٥) آية.

٢- الجانب المضموني :

يتكون هذا الجانب من ثمانية عناوين:

العرض والبيان :

من خلال الربط بين آيات السور تتضح حقيقة وان كانت امرا غاية في البداهة الا ان القرآن الكريم لا يدعها دون بيان، كي لا يأتي لا يصل العقل البشري مرحلة يتهم الله عز وجل في عدله ، خلاصة هذه الحقيقة ان الله في اول الامر يقوم بعرض الحجة ويقيم عليها الشواهد والأدلة، قال تعالى:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ).(القصص/٥٩) فتارة تكون هذه الشواهد والأدلة حسية كما هو الحال في سورة القمر((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ).(القمر/١)، وأخرى عقلية كما جاء في سورة الطور: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ). (الطور/٣٥،٣٦). وثالثة عبر ابطال المنهج المعرفي الذي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

يتبعه الطرف الآخر، كما في سورة النجم (إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى). (النجم/ ٢٣).

بعد عملية العرض وتقرير الحقيقة للإنسان تحصل حالة من ردة الفعل من الجانب البشري – مع كفاية الحجة الإلهية- تتجسد بالاستهزاء والاعراض والتكذيب.

التكذيب والاعراض:

لدى الانسان موقفين بعد تقرر الحقيقة في نفسه وتجسدها امام ناظريه، اما الايمان بهذه الحقيقة والتسليم لها ودعمها وتأييدها وبذل الغالي والنفيس في سبيلها، أو الكفر ومحاولة ابطالها وتغييبها عن الوعي الشخصي بالإضافة الى العمل على تشويهها في اذهان الاخرين مع كونها حقيقة قارّة في الوجدان على طريقة: ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)). (النمل/١٤).

وهذه الحقيقة تقررها آيات السور الثلاث، فمثلا تكرر في سورة الطور انوع التهم التي رمي بها النبي الاكرم (صلى الله عليه واله وسلم) والتي قررها القرآن بصيغ مختلفة تارة يظهرها المنطوق، وأخرى يبرزها المفهوم ، قال تعالى: (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ). (الطور/١٥). وهنا يظهر ان التهمة الأولى التي عبروا فيها عن ردة فعلهم هي الاتهام بالسحر، ثم اتهم بالكهانة والجنون وهذا ما يطرحه مفهوم الآية (٢٩) من السورة، قال تعالى: (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ). (الطور/٢٩). ثم رموه بالشعر: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) (الطور/٣٠). الى غير ذلك من التهم التي تبرزها آيات السورة، ثم تنفتح سورة الطور على سورة النجم وهي تقرر نفسيّة المتلقي للحقيقة، وهنا مع سورة النجم تصل النوبة الى التشكيك في سلامة النبي من الناحية الادراكية فتظهر تهمة الطغيان والغواية والهوى ، وهذا يستشعر من مفهوم الآيات في السورة، لذا قال: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى). (النجم/٢)، وقال: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى). (النجم/٣)، (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)، (النجم/١٧). ((أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى)).(النجم/١٢).

واذا ما وجّهت بصرك نحو سورة القمر تجد انها تشترك في المساحة والتشخيص الذي قدمته سورة النجم وسورة الطور، لكن هذه المرة مع حصول الآية الحسية ، والتي معها يكون الاعراض والتكذيب اسخف شيء ممكن ان يقال في مواجهة الدعوى، لذا تنفجر الآية بالوعيد ثم تقول في حالة من الامتعاض: (وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ(٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ)(القمر/٢-٣).

(الطباطبائي) (بيان غرض السورة تذكير الأصول الثلاثة وحدانيته تعالى في ربوبيته والمعاد والنبوة فتبدأ بالنبوة فتصدق الوحي إلى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وتصفه ثم تتعرض للوحدانية فتنفي الأوثان والشركاء أبلغ النفي ثم تصف انتهاء الخلق والتدبير إليه تعالى من إحياء وإماتة وإضحاك وإبكاء وإغناء وإقناء وإهلاك وتعذيب ودعوة وإنذار، وتختم الكلام بالإشارة إلى المعاد والأمر بالسجدة والعبادة. والسورة مكية بشهادة سياق آياتها ولا يصغى إلى قول بعضهم بكون بعض آياتها أو كلها مدنية، وقد قيل إنها أول سورة أعلن النبي صلى الله عليه واله وسلم بقراءتها فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعاً، ومن غرر الآيات فيها قوله تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) وقوله (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).(الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٢، ص١٢٩).

قال السيد فضل الله في تفسيره من وحي القران، (هذه السورة من السور المكية التي تتحدث عن الوحدانية التي تطل على الكون كله من موقع الألوهية والربوبية والقدرة والعلم والحكمة، ما يجعل الوثنية بكل مظاهرها، حالة خرافية في وعي هؤلاء المشركين الذين لم ينطلقوا من موقع الوعي، بل انطلقوا من موقع التقليد الأعمى، والتخلف المعقد، كما تدعو الناس إلى التأمل والتفكير والإعراض عن هؤلاء الجاهلين.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وتعالج السورة الوحي كأساسٍ من أسس الحقيقة الإيمانية التي لا مجال للريب فيها، ولا تخلو من الإشارة إلى المعاد الذي يشكّل عمق العقيدة ويوجّه الناس إلى المسؤولية في ما يفعلون أو يتركون، ليواجهوا نتائجها عندما يقفون غداً بين يدي الله. وفي هذا الجو كله نلتقي بالمبادئ الإسلامية التي تلتقي فيها العدالة بالمسؤولية الفردية، حيث يتحمل الإنسان وحده نتائج عمله، فلا يحمل أيُّ إنسانٍ مسؤولية عمل شخصٍ آخر غيره). (فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن).

قال صاحب الظلال في تقديمه لسورة النجم : (هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية ، منغمة ، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة ، ويبدو القصد فيه واضحا في بعض المواضع ، وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية، لتضمن سلامة التنغيم ودقة إيقاعه ، إلى جانب المعنى المقصود الذي تؤديه في السياق كما هي عادة التعبير القرآني، مثل ذلك قوله : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) ... فلو قال ومناة الأخرى ينكسر الوزن. ولو قال : ومناة الثالثة فقط يتعطل إيقاع القافية. ولكل كلمة قيمتها في معنى العبارة. ولكن مراعاة الوزن والقافية كذلك ملحوظة. ومثلها كلمة (إذن) في وزن الآيتين بعدها : (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى!) فكلمة (إذن) ضرورية للوزن. وإن كانت ـ مع هذا، تؤدي غرضا فنيا في العبارة ... وهكذا).

كلمة في سورة النجم ومحورها

في سورة الذاريات ورد قوله تعالى في وصف المتقين : (إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ* كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ* وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(الذاريات/١٦)، وفي سورة الطور ورد قوله تعالى في وصف المتقين : (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ* فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ* إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ)(الطور/٢٦)، وفي سورة النجم يرد قوله تعالى : (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)(ثم يأتي قوله تعالى معرفا المحسنين : (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى)(النجم/٣٢)، في السورتين السابقتين ذكر ما عليه المتقون، وفي سورة النجم يذكر ما يجتنبه المتقون، وفي ذلك مظهر من مظاهر التكامل بين السور الثلاث التي تفصل في محور واحد ، ونلاحظ أن ما فصلته سورة الذاريات في قضية المتقين عرضته بما يربي عليه ، وما فصلته سورة الطور عرضته بما يحقق فيه ، وما تفصله سورة النجم تعرضه بما يدفع نحوه ، والمحور واحد ، وكل سورة تضيف إلى البناء شيئا جديدا ، وتضعه ضمن سياق يحمل عليه ويحقق فيها لقد رأينا سورة (طه) من قبل ، ورأينا أن محورها هو الآيات الأولى من سورة البقرة وهو نفسه محور سورة النجم والسورتين قبلها ، ولذلك فإننا نجد معاني مشتركة بين سورة (طه) وسورة (النجم) ، ففي سورة (طه) يحدثنا الله عز وجل عن موسى بقوله : (لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنَا الْكُبْرى) وفي سورة النجم يحدثنا الله عز وجل عن محمد (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله : (لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى) وتختتم سورة (طه) بقوله تعالى : (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى) وفي سورة النجم يرد قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدى).

ورأينا سورة الروم من قبل ، ورأينا أن محورها كذلك هو الآيات الأولى من سورة البقرة فهو محور سورة النجم نفسه ، ونلاحظ أن هناك معاني مشتركة بين سورة الروم وسورة النجم ، ومن ذلك أننا نرى في سورة الروم قوله تعالى : (يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ) ونجد في سورة النجم قوله تعالى : (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا* ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ...) وهذا كله يؤكد أن محور سورة النجم هو الآيات الأولى من البقرة : (الم* ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

ونلاحظ أن السور الثلاث : الذاريات والطور والنجم كل منها تحدث عن شيء من عالم الغيب ، وكل منها تحدث عن اليوم الآخر ، والسورتان الأخيرتان ناقشتا الكافرين نقاشا طويلا ، رأينا ذلك في سورة الطور ، وسنراه في سورة النجم ،وذلك مظهر من مظاهر التكامل في السور الثلاثة ومظهر من مظاهر الارتباط بالمحور، لأن الإيمان بالغيب ، والإيمان باليوم الآخر من أركان التقوى ، ومن أمهات ما ذكر في آيات سورة البقرة الأولى.

تتألف سورة النجم من ثلاث مجموعات واضحة المعالم :

المجموعة الأولى وتمتد حتى نهاية الآية (١٨).

المجموعة الثانية وتمتد حتى نهاية الآية (٣٢).

المجموعة الثالثة وتمتد حتى نهاية السورة ، أي : حتى نهاية الآية (٦٢). فلنرى تفسير السورة.). (سعيد حوّى، الأساس في التفسير، ج ١٠، ص٣٤).

الخـــــاتمة:

١.ان سورة القمر يمكن وصفها بـ (سورة النتيجة) في مقابل إعراض النفس الإنسانية عن الحق، وخصوصا اذا كان قد تجلى الحق بصورته المادية، فإذا وصلت النفس الإنسانية الى هذه المرحلة من الاستكبار فإن الحديث معها على مستوى الاستدلال والبرهان والاخذ والرد لا يعتبر أسلوبا منطقيا، سوى إقامة بعض المنبهات لهز طغيان النفس البشرية، وهذا ما فعلته سورة القمر بأسلوبها البلاغي الصاعق.

٢.ان سورة القمر تتميز بنغم موسيقي عالي منسجم مع أهدافها، اذ ان نغم الآيات تجعل السامع والقارئ لها يعيش مشاهدها المتسارعة بحسب تصوير سيد قطب، ونفس هذا الشعور الذي تعطيه آيات السورة يجعلها ممحضة في التخويف والرعب الا آخر ايتين في نهايتها بحسب بيان العلامة السيد الطباطبائي.

٣. ان المناسبات التي يذكرها المفسرون بخصوص ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها عن طريق ما تختم به السورة السابقة وما تفتتح به السورة اللاحقة أمر لا يرى الباحث جديته او جدوائيته بناء على القول الذي لا يرى توقيفية الترتيب بالنسبة للسور.

٤.ان السورة قابلة للانفتاح على ما قبلها وعلى ما بعدها، بل وعلى كل القرآن الكريم، لذا فكل آية من آيات القرآن إذا ما لوحظت مقرونة بالهدف العام والغاية النهائية للقرآن الكريم، فإنها قابلة للارتباط بكل القرآن، وهذا الارتباط المدروس هنا- يختلف عن الارتباط الجزئي الذي بينه بعض المفسرين من ارتباط السورة بما قبلها عن طريق آخر آية بأول آية من السورة اللاحقة، وانما كل آية من آيات القرآن قابلة لأن تنصهر في الأخرى، حتى يؤول التفصيل الى الاحكام من جديد.

٥. تجسد هذا الترابط بين السور الثلاث عبر محورين:

المحور الشكلي: وقد تم بيانه، الا ان هذا النوع من الارتباط ليس فيه وراء التشابه من قيمة، فلا يمكن ان يطلق عليه عنوان الترابط الا تج تجوزاً.

المحور المضموني: وهذا القسم هو الذي يمكن ان يطلق عليه بالترابط الحقيقي، وقد التقت السور فيه عبر ثمان محطات وهي: (العرض والبيان، التكذيب والاعراض، الاحتجاج والمناقشة، التحذير من العواقب المترتبة على الصد والاعراض، أمر النبي (صل الله عليه واله وسلم) بالإعراض عنهم بعد ان يتقرر الاحتجاج، التذكير بعواقب الأمم السالفة، حضور القيامة والخزي في كل السور، إقامة المقارنة بين حال

ISSN–2536–0027

المؤمنين والمكذبين) وحتى هذه المحطات هي عبارة عن تفصيل لمركز الارتباط الذي هو التوحيد بحسب العلامة السيد الطباطبائي.

المصادر

١. أبن منظور، محمد بن مكرم، ٧١١هـ، لسان العرب، ط ٢، دار صادر، لبنان، بيروت.
٢. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، ٧٩٤هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، لبنان، بيروت، ١٩٥٧مـ.
٣. الطباطبائي، محمد حسين، ١٤٠٤هـ، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٩٥مـ.
٤. الطوسي، محمد بن الحسن، ٤٦٠هـ، التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، لبنان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠مـ.
٥. متقي زاده، دلالة الأصوات في القرآن، سورة النجم والقمر نوذجاً، افاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، السنة الخامسة عشر، العدد الثاني، ١٤٣٤هـ، ص١١٣.
٦. النجار، اشواق محمد إسماعيل، التوازي الصوتي في سورة القمر، آداب الرافدين، العدد(٥٨)، تاريخ القبول ١٧/ ٨/ ٢٠٠٩.
٧. عزّت، عدنان أحمد. جرجيس، هلا حسن، قوة الاصوات وأثرها في قوّة دلالة المفردات سورة القمر نموذجا. المجلة الاكاديمية لجامعة نوروز، المجلد٨، العدد١/ ٢٠١٩.
٨. الحسيني، راشد بن حمد بن هاشل، قراءة أسلوبية في سورة القمر، قرآنيكا، ١١ ، العدد ١ يونيو ، حزيران ٢٠١٩ م.
٩. الدليمي، عبد المنعم عبد الله خلف حميد، التوازي في سورة القمر(دراسة اسلوبية)، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد٣٠، ٢٠١٣مـ، ص٣٢٩. الناشر ديوان الوقف السني مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
١٠. الصيفي، عزيزة عبد الفتاح، الاعجاز البلاغي في سورة القمر، الناشر: نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، ٢٠٠٣مـ.
١١. سيد قطب، أبراهيم حسين الشاذلي، ١٩٦٦مـ، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر القاهرة، ١٤٠٨مـ، ط١٥.
١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، ايران، قم المقدسة. ١٣٧٩هـ، ط١.
١٣. وليد يوسُف عبد الله الحَاج أحمد، الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والخمسين من القرآن الكريم (سورة الذَّاريات – الطُّور – النَّجم – القمر) مارس/٢٠١٨ مـ، جمادى الثانية/١٤٣٩هـ.
١٤. د. محمد أسد سبحاني ، سورة القمر وما فيها من إعجاز البيان وبديع النظام، رمضان، ١٤٢٠هـ
١٥. ابن عجيبة، احمد بن محمد بن المهدي، ت١٢٢٤هـ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، المكتبة التوفيقية، ط٤.
١٦. الرازي، محمد بن عمر بن حسن، ت٦٠٦هـ، مفتاح الغيب، دار أحياء التراث العربي، لبنان بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
١٧. بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، ت١٣٩٣هـ، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط٨، ١٩٨٤مـ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

١٨. د. البستاني، محمود، التفسير البياني، دار السيدة رقية (عليها السلام).
١٩. الالوسي، شهاب الدين محمود، ت١٢٧٠هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٠. وهبة الزحلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق سورية، ط١، ١٤١١هـ.
٢١. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقران، دار الفكر العربي، مصر القاهرة، ط٢.
٢٢. العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تـ ٨٥٢هـ، فتح الباري بشرح البخاري، ط١، مصر القاهرة.
٢٣. الصغير، محمد حسين علي، الصوت اللغوي في القرآن ، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان،٢٠٠٠م ط٣.
٢٤.سعيد حوّى، الأساس في التفسير، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط ١.
٢٨-.البلخي، محمد إبراهيم محمد شريف، اساليب الاستفهام في البحث البلاغي
وأسرارها في القرآن الكريم، العام الدراسي: ٢٠٠٦و٢٠٠٧مـ.
٢٩. سعد الدين التفتزاني ،المطول شرح تلخيص مفتاح تحقيق :عبد الحميد الهناوي، ط١ بيروت :١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.دار الكتب العلمي.
٣٠. يوسف، عبد الكريم محمود، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم (عرضه-اعرابه)، الناشر: المؤلف، طبع في مطبعة الشام، ٢٠٠٠م.

[١] - مقصوده النجم.